النظم عند عبد القاهر الجرجاني وعلاقته بالإعجاز اللغوي في القرآن الكريم – نماذج من دلائل الإعجاز-

The Systematic of abd el kaher el djardjani and it's relation with the language miracles in the qur'an

- examples from miracles signs –

د/ فائزة سيدي موسى جامعة البليدة 2

أ/ إيمان سيدي موسى جامعة البليدة 2

تاريخ الإرسال: 2020/06/21	تاريخ القبول:2020/09/24	تاريخ النشر: 2020/11/10

-

ملخص:

يعالج هذا المقال نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني التي طالعنا بها للرد على الصرفة الذين حاولوا التشكيك في إعجاز القرآن، فحاولنا تبيين النظم عند الجرجاني وقبله وذلك بالوقوف على أهم مستوياته حسب الجرجاني، كما ركزنا على أهمية العلاقة التي تربط بين النظم عنده والإعجاز اللغوي من خلال نماذج اخترناها من دلائل الإعجاز كالتقديم والتأخير والحذف وغيرها.

Summary:

This article treats the systematic theory of abd el kaher el djardjani in which we have checked it out to give a reply to the group of morphology whom they tried to doubt about the quor'an miracles thus they have tried to showing the

systematic of el djardjani and those who are before him that by stand on the most important levels acvording to el djardjani ,as we have focused on the importance of the relation that links between the systematic at him and the language miracles through samples that we have chosen from miracles signs as the advencenent and the delay and the deletion and others.

الكلمات المفاتيح بالعربية: النظم – الإعجاز اللغوي – القرآن.

Key words: the Quran – systems- the linguistic miracle

مقدمة:

حظيت اللغة العربية باهتمام اللغويين والباحثين منذ القديم وذلك كونها لغة الدين الجديد، فالدراسات اللغوية نشأت كلها للحفاظ على الدين الإسلامي من الزيغ والخطأ حيث أن كل زلل في اللغة يمس القرآن الكريم كونه الكتاب المقدس، وتطورت الدراسات اللغوية في القرن الثاني للهجرة خاصة بعد أن اتسعت الرقعة الجغرافية وزاد عدد المعتنقين للدين الجديد مما ألزم اللغويين بضرورة الأخذ بالتدابير اللازمة للحفاظ على سلامة اللغة من اللحن، فكثرت المصنفات والمؤلفات التي تهتم بتقنين تقعيد هذه اللغة للحفاظ عليها وظل التأليف متواصلا إلى أن ظهرت الفرق الكلامية بتوجهاتها وآرائها المختلفة حول هذا الدين الجديد وكتابه المقدس وهو القرآن الكريم يشككون في لغته وبيانه ومضامينه مما أدى باللغويين للوقوف في وجه هؤلاء والعمل على حماية الدين الإسلامي والقرآن فألفوا كتبا تدحض ما ذهب إليه هؤلاء بغية إثبات إعجاز القرآن الكريم من حيث لفظه وتركيبه ومعاه ومن هؤلاء نجد الجرجاني الذي طالعنا بكتابه دلائل الإعجاز للرد على أهل الصرفة وليثبت من خلاله أن القرآن الكريم معجز بمختلف مستوياته وعلى إثر هذا كان موضوع بحثنا: النظم عند عبد القاهر الجرجاني وعلاقته

بالإعجاز اللغوي في القرآن الكريم- نماذج من دلائل الإعجاز-ولمعالجة هذا الموضوع وقفنا على التساؤلات التالية: ما هو النظم حسب الجرجاني؟ وما العلاقة التي تربط نظرية النظم بالإعجاز اللغوي للقرآن الكريم؟ وكيف ربط الجرجاني نظرية النظم بالإعجاز اللغوي للقرآن الكريم من خلال دلائل الإعجاز؟

1- تحديد المصطلحات:

1-1 تعريف الإعجاز لغة واصطلاحا:

1-1-1 لغة: جاء في لسان العرب: " العجْزُ نقيض الحزْم، عجز عن الأمر تعجِز وعجْزاً فيهما ورجل عجِزٌ وعجُزٌ عاجِزٌ وامرأة عاجِزٌ، عاجِزَةٌ عن الشيء.

وعجَّزَ فلان رأي فلان إذا نسبه إلا خلاف الحزم كأنه نسبه إلى العجز ويقال: أعْجَزْتُ فلانا إذا ألفيته عاجزاً والمُعْجِزَة والمَعْجَزَة العَجْزُ و العَجْزُ: الضعف تقول: عجَزْتُ عن كذا أعْجِزُ.

والمعجِزَواحدة معجزات الأنبياء عليهم السلام."[1]

ونجد أن معاني عَجَزَ تدل في معظمها على الضعف وعدم الحزم في الأمور، ومنها معجزات الأنبياء التي تقتصر عليهم دون غيرهم من البشر.

1-1-2 اصطلاحا:

للإعجاز تعريفات منها: تعريف الشريف الجرجاني الذي يرى أن "الإعجاز في الكلام هو أن يؤدي المعنى بطريق هو أبلغ من جميع ما عداه من الطرق."[2]

فالإعجاز حسبه هو خروج عن الطرق المألوفة في الكلام بحيث تكون هناك طريقة متميزة عن تلك الرق في جميع المستويات.

وعرفه مصطفى صادق الرفعي بقوله: " وإنما الإعجاز شيئان: ضعف القدرة الإنسانية في محاولة المعجزة ومزاولته على شدة الإنسان واتصال عنايته ثم استمرار هذا الضعف على تراخي الزمن وتقدمه، فكأن العالم كله في العجز إنسان واحد ليس له غير مدته المحدودة بالغة ما بلغت فيصير من الأمر المُعجَز إلى ما يشبه الرأي مقابلة أطول الناس عمرا بالدهر على مداه كله."[3]

ومن خلال قول الرافعي نجده يحصر الإعجاز في الضعف ومدى تأثيره على النفس البشرية كما نجده حصر الإعجاز في طول فترة الزمن التي تعيق الإنسان، وهذا ما نجده في القرآن الكريم الذي أعجزت بلاغته البشرية جمعاء منذ القدم وذلك من حيث بلاغته في مستوياته الصوتية والإفرادية والتركيبية والدلالية.

1-2 تعريف المعجزة: عرفها العلماء بقولهم: "هي أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي سالم من المعارضة يظهره الله على يد رسوله."[4]

وعليه فالمعجزة مقرونة بالتحدي كما أنها شيء لم يألفه الناس وهذا ماكان عند الأنبياء والمرسلين الذين أتوا بأشياء لم يألفها أقوامهم.

1-2-1 شروطها: ولحدوث المعجزة لابد من توفر جملة من الشروط نحصرها في الآتي:

" - أن تكون من الأمور الخارقة للعادة سواء كان هذا الأمر خارقا من قبيل الأقوال أو أن يكون من قبيل الفعل.

- أن يكون الخارق من صنع الله وإنجازه.
- سلامتها من المعارضة.
- أن تقع على مقتضى قول من يدعيها (وقوعها على مقتضى الدعوة).
- التحدي بها وهو شرط أساسي في المعجزة."[5]

وعليه فلابد من توفر شروط معينة حتى تحدث المعجزة ونجد أن هذه الشروط توفرت فيما جاء به الأنبياء، حيث تتمثل آخر معجزة في القرآن الكريم الذي أعجز العرب بنظمه في جميع مستوياته الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية، فقد بادر العلماء في التأليف في إعجاز القرآن بعدما حاولت بعض االفرق الكلامية التشكيك في إعجازه وممن كان له إسهام في التأليف في الإعجاز الجرجاني من خلال نظرية النظم التي كانت ردا على هؤلاء.

2-نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني:

2-1 النظم قبل الجرجاني:

قبل التطرق إلى مفهوم النظم عند الجرجاني وأهم الفروق الدلالية للتراكيب اللغوية كما حددها الجرجاني في شرح نظرية النظم، سنحدد دلالة مصطلح النظم قبل أن يتشكل في نظرية لها أسسها ومبادئها .

ذلك أن مصطلح النظم كان الأساس الذي بنيت عليه نظرية النظم، وقد كانت له إرهاصات قبل أن ينضج ويتضح على يد عبد القاهر الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز، ففكرة النظم أشار إليها بعض النقاد والبلاغيين ومن بينهم:

1-سيبويه: الذي ظهر عنده معنى النظم في مواضع متفرقة من كتابه حيث عقد بابا في الكتاب يقول فيه:" هذا باب الاستقامة من الكلام والإحالة فمنه مستقيم حسن ومستقيم كذب ومستقيم قبيح وما هو محال كذب."[6]

فسيبويه جعل الكلام قائما على تأليف العبارت فيما بينها وما ينتج عنما من حسن وقبح وهذا ما يجسد لنا معنى النظم .

2-الجاحظ: أما الجاحظ فقد ألف كتابا أسماه نظم القرآن حيث قال:" كما عبت كتابي في الاحتجاج لنظم القرآن وغريب تأليفه وبديع تركيبه."[7]

فالنظم في استعمال الجاحظ كان لحجة وهي الانتصار لبلاغة ودقة التركيب القرآني، إذ يرى أن القرآن معجز بنظمه وذلك ردا على شبهة خلق القرآن.

3-القاضي عبد الجبار:أورد القاضي عبد الجبار فكرة النظم عندما رد على شيخه أبي هاشم الجبائي الذي تحدث عن بلاغة الألفاظ والمعاني فقال:" اعلم أن الفصاحة لا تظهر في أفراد الكلام وإنما تظهر في الكلام بالضم على طريقة مخصوصة ولابد مع الضم من أن يكون لكل كلمة صفة وقد يجوز في هذه الصفة أن تكون بالمواضعة التي تتناول الضم وقد تكون بالإعراب الذي له مدخل فيه وقد تكون بالموقع وليس لهذه الأقسام رابع."[8]

وهنا نجد القاضي عبد الجبار يتفق مع الجرجاني في أن الفصاحة لا تكون في الكلمات مفردة، وإنما تظهر في التركيب أي في ضم الكلمات بعضها إلى بعض بمراعاة الحركات الإعرابية وموضعها في التركيب من خلال التقديم والتأخير.

وعليه فإن فكرة النظم قديمة في العربية وقد عالجها علماء اللغة خاصة عند إثبات فكرة إعجاز القرآن الكريم، وغير هؤلاء الذين ذكرناهم المبرد والسيرافي وبشر بن المعتمر وأبو هلال العسكري وإبراهيم بن المدبر، فكان لكل واحد من هؤلاء رأي في الموضوع، إلى أن جاء الجرجاني وبلورها في شكل نظرية منظمة ودقيقة لها أسس يمكن تطبيقها في دراسة الأساليب اللغوية المختلفة.

2-2 النظم عند الجرجاني:

لقد أشرنا فيما سبق أن الذين تحدثوا عن النظم قبل الجرجاني لم يفصلوا فيه ولم يربطوه بالمقام كما فعل الجرجاني، فكان أول من أرسى قواعد النظم وبنى له أسسه حتى أصبح نظرية لها شأو كبير، وذلك من خلال تطبيقها على كثير من أبواب البلاغة التي تدخل في علم المعاني والبيان والبديع فلم يكتف بذلك بالإشارات الدالة على فكرة النظم كما فعل سابقوه.

لقد أعطى الجرجاني مفهوما دقيقا لمصطلح النظم من خلال كتابه " دلائل الإعجاز" فالمتأمل في الكتاب يلاحظ تلك النصوص الغزيرة التي فسر بها الجرجاني مفهومه للنظم وذلك بربطه بالنحو والفصاحة وبيان مواضع الصحة والفساد منه وسنوضح ذلك من خلال عرض النصوص التي أوردها الجرجاني في هذا الشأن.

يقول الجرجاني موضحا مفهوم النظم:" اعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو وتعمل على قوانينه وأصوله وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخل بشيء منها."[9]

فنلاحظ من خلال هذا القول أن النظم عند الجرجاني يقوم على دعامة نحوية ذلك أنه كلما أورد مصطلح النظم إلا وأورد معه النحو ومعانيه، حيث يقول في نهاية الكتاب:" ليس النظم شيئا إلا توخي معاني النحو وأحكامه ووجوهه وفروقه فيما بين معاني الكلم وأنك قد تبينت أنه إذا رفع معاني النحو وأحكامه فيما بين الكلم حتى لاتراد فيها في جملة ولا تفصيل، خرجت الكلم المنطوق ببعضها في إثر بعض في البيت من الشعر والفصل من النثر، على أن يكون لكونها في مواضعها التي وضعت فيها موجب ومقتض وغير أن يتصور أن يقال في كلمة منها: إنها مرتبطة بصاحبة لها ومتعلقة بها وكائنة بسبب منها."[10]

فالجرجاني يركز على المعاني النحوية في تحقيق معنى النظم، بحيث يجعل علاقة الكلمات فيما بينها في التركيب أساسا لتأدية المعنى المقتضى من الكلم، كما أشار إلى فساد المعنى إذا لم يحترم الناظم المعاني النحوية وأحكامها عند ترتيبها في النفس والنطق بها بعدها، فيبدو نظمه بعد ذلك مجرد كلمات مرصوص بعضها إلى بعض مفتقدة إلى المعنى الذي وضعت لأجله.

ويرجع الجرجاني صحة النظم وفساده إلى احترام أحكام النحو وقوانينه لأن المزية تكمن في مراعاة هذه الأحكام فيقول:" فلست بواجد شيئا يرجع صوابه إن كان صوابا وخطؤه إن كان خطأ إلى النظم ويدخل تحت هذا الاسم إلا وهو معنى من معاني النحو قد أصيب به موضعه ووضعه في حقه أو عومل بخلاف هذه المعاملة، فأزيل عن موضعه واستعمل في غير ما ينبغي له، فلا ترى كلاما قد وصف بصحة نظم أوفساده أو وصف بمزية وفضل فيه

إلا وأنت تجد مرجع تلك الصحة وذلك الفساد وتلك المزية وذلك الفضل إلى معاني النحو وأحكامه ووجدته يدخل في أصل من أصوله ويتصل بباب من أبوابه."[11]

فالنظم على هذا الأساس يرتبط بالنحو من خلال المعاني النحوية المستفادة من التركيب كالفاعلية والمفعولية والإسناد وغيرها ولا يقصد عبد القاهر القواعد الشكلية التي تتسم بالمعيارية.

والمعاني النحوية عند الجرجاني لاتعني الحركات الإعرابية التي تلحق أواخر الكلم لأنها تتعلق بالجانب الظاهر للكلمة أما المعاني التي يقصدها الجرجاني فتتعلق بالأثر المعنوي عن طريق علاقة الإسناد التي تخص الجملة النواة، والمعاني النحوية الأخرى التي تتعلق بمتممات الجملة كالتخصيص والنسبة وغيرها فيقول الجرجاني موضحا بأنه لايقصد من معاني النحو الإعراب:" لم يجز- إذا عد الوجوه التي تظهر بها المزية- أن يعد فيها الإعراب وذلك أن العلم بالإعراب مشترك بين العرب كلهم وليس هو مما يستنبط بالفكر ويستعان عليه بالروية فليس أحدهم – بأن إعراب الفاعل الرفع أوالمفعول النصب والمضاف إليه الجر- بأعلم من غيره ولا ذاك مما يحتاجون فيه إلى حدة ذهن وقوة خاطر، إنما الذي تقع الحاجة فيه إلى ذلك العلم بما يوجب الفاعلية للشيء إذا كان إيجابها من طريق المجاز كقوله تعالى: چ ئۇ ئۆ ئۈ ئې ئې ئى ئى ی ی ی ی ئج چ البقرة:16 وكقول الفرزدق: "سقتها خروق في المسامع.." وأشباه ذلك مما يجعل الشيء فيه فاعلا على تأويل يدق ومن طريق تلطف وليس يكون هذا علما بالإعراب ولكن بالوصف الموجب بالإعراب." [12]

ويتضح لنا من القول السابق أن الجرجاني لم ينظر إلى النحو على أنه مجرد قواعد شكلية [13] تحفظ اللسان من الخطأ وهي التي تعتمد على الإعراب وإنما اعتمد على المعاني الناتجة من خلال التفاعل الحاصل بين الكلمات في التركيب ضمن سياق محدد، وهذا ما بينه درويش الجندي بقوله:" ولقد كانت نظرية النظم لدى عبد القاهر دعوة صارخة إلى دراسة النحو على منهاج جديد يقوم على الحس والذوق وحسن التخير بدلا من المنهاج التقليدي الذي يوجه العناية إلى الإعراب، وبيان الأوجه الممكنة من الناحية الإعرابية التي قد تكون على خلاف المعنى المقصود".[14]

أي أن الجرجاني كان يوجه عنايته في تحديد معنى النظم إلى المعاني النحوية التي تعطي نفسا للقواعد النحوية ،لأنه لم يربطها بقانون الصواب والخطأ وإنما كانت نظرته إليها من خلال ترتبها في ذهن الناظم وتعليقه لها في النطق دون النظر في العلامات الإعرابية التي تلحق أواخر الكلم.

3- علاقة نظرية النظم بفكرة الإعجاز:

لقد بين الجرجاني دقة النظم واختلاف مستوياته انطلاقا من النص القرآني الذي لا يتأتى لأي بشر أن الإتيان بمثله، وذلك بآيات تظهر عجز الإنسان عن الإتيان بنظم يوازي النظم القرآني، فهو معجز بلفظه وتركيبه ودلالته، فالجرجاني بين الإعجاز اللغوي للنص القرآني عند شرحه لأسس نظرية النظم موضحا الفروق الدلالية للتراكيب اللغوية والأبواب النحوية كالتقديم والتأخير والحذف والفصل والوصل وذلك بعدم التفريق بين النحو والبلاغة في دراسة التراكيب اللغوية المختلفة من خلال ربط الأبواب النحوية بالمقام الذي أنشئت فيه، وهذا يعني دراسة القواعد النحوية في دابه الاستعمالي فكان النص القرآني المنطلق الأساس في شرح نظرية النظم وربطها بفكرة الإعجاز، وسنوضح ذلك من خلال دراسة بعض الأبواب من نظرية النظم بغية تحديد العلاقة بين هذه النظرية وفكرة الإعجاز.

3-1 التقديم والتأخير:

عرفه الجرجاني بقوله:" هو باب كثير الفوائد جم المحاسن واسع التصرف بعيد الغايةلايزال يفتر لك عن بديعة ويفضي بك إلى لطيفة ولا تزال ترى شعرا يروقك مسمعه ويلطف لديك موقعه ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك أن قدم فيه شيء وحُوِّل اللفظ عن مكان إلى مكان."[15]

ويتضح من تعريف الجرجاني أهمية التقديم والتأخير في نظم الكلام لما له من معاني متغايرة بتغير المواضع في التركيب اللغوي وقد حدد الجرجاني وجهين للتقديم والتأخير" تقديم يقال إنه على نية التأخير وذلك في كل شيء أقررته مع التقديم على حكمه الذي كان عليه، وفي جنسه الذي كان فيه كخبر المبتدأ إذا قدمته على المبتأ والمفعول إذا قدمته على الفاعل كقولك: " منطلق زيد" و" ضرب عمراً زيدٌ" وتقديم لا على نية التأخير، ولكن على أن

تنقل الشيء عن حكم إلى حكم وتجعل له بابا غير بابه وإعرابا غير إعرابه...ومثله ما تصنعه ب" زيد" و" المنطلق" حيث نقول مرة " زيد المنطلق" وأخرى " المنطلق زيد."[16]

فالتقديم والتأخير حسب الجرجاني لايكون بتغيير المواضع في التركيب فحسب وإنما يخضع إلى المقام الذي أنشئ فيه الكلام، وذلك بمراعاة أقطاب عملية التواصل من متكلم وسامع وموضوع الخطاب وقد بين هذه المعاني المستفادة من التقديم والتأخير من خلال نماذج تركيبية مختلفة خاصة في مسائل التقديم والتأخير في الاستفهام والإثبات موضحا هذه الفروق في تراكيب النص القرآني بغية إثبات وجه الإعجاز في معنى النص القرآني.

وتظهر أهمية التقديم والتأخير في الاستفهام بالهمزة ف:" إذا قلت: أفعلت؟ فبدأت بالفعل كان الشك في الفعل نفسه... وإذا قلت: "أأنت فعلت؟" فبدأت بالاسم كان الشك في الفاعل من هو وكان التردد فيه، فإذا قلت: "أأنت فعلت ذاك "كان غرضك أن تقرره بأنه فاعل، وذلك مثل قوله تعالى: چ ج ج چ چ ج ج چ چ چالأنبياء 62.[17]

فالفعل كان معلوما لكن الفاعل كان مجهولا فالمراد بتقديم الاسم في هذا الموضع الإقرار عن الفاعل والدليل جواب إبراهيم في قوله تعالى: چچ چ چ چ چ چ ي ي ذ چ الأنبياء: ٦٣ وهذا يبين دور التقديم والتأخير في تحديد المعنى حسب السياق الذي وردت فيه القصة.

وقد بين الجرجاني وجها آخر للتقديم والتأخير مع الهمزة " وهو أن يكون لإنكار أن يكون الفعل قد كان من أصله ومثاله قوله تعالى: چ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ چ الإسراء: ٤٠ وقوله عز وجل: چ ي ي چ الصافات: ١٥٣ "[18]

فتقديم الفعل في الآيتين كان ردا على الجهل العظيم من قبل المشركين في حين إذا تم تقديم الاسم كان الإنكار في الفاعل، وبهذا تتضح قيمة التقديم والتأخير في بيان المعنى حسب موضع المقدم في كونه اسما أو فعلا.

وتظهر أهمية التقديم والتأخير في الخبر المثبت في كون تقديم المحدث عنه بغية التنبيه عليه والتأكيد عليه" ومن هنا قالوا إن الشيء إذا أضمر ثم فسر كان ذلك أفخم له من أن يذكر من غير تقدمة إضمار ويدل على صحة ما قالوه أنا نعلم ضرورة في قوله تعالى: چ ئۇ ئۆ

ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﭼ الحج: ٤٦ وكذلك السبيل أبدا في كل كلام فيه ضمير قصة، فقوله تعالى: ﭽ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﭼ المؤمنون: ١١٧ يفيد من القوة في نفي الفلاح عن الكافرين، ما لو قيل " إِنَّ الكَافِرِين لا يفلحون" لم يستفد ذلك."[19]

فتقديم الضمير ثم تفسيره أبلغ في تحقيق المعنى من التصريح به، وقد بين الجرجاني أهمية ذلك من خلال النصوص القرآنية التي أوردها في شرح الفكرة وتوضيح المعنى مما يزيد في إعجاز المسائل التي حدث فيها التقديم والتأخير لأنه لا يحسن في كل المواضع وبهذا تتضح دقة التركيب اللغوي خاصة النص القرآني، فكان القرآن بذلك معجزا بلفظه وتركيبه ومعناه فأعجز أفصح العرب عن الإتيان بمثله.

2-3 الحذف:

أشار الجرجاني إلى أهمية الحذف في الكلام ودقة النظم وذلك بذكر المواضع التي تقتضي الحذف بغية إبراز المعاني الخفية المستفادة من حذف العناصر اللفظية من التركيب اللغوي، لأن حذف العنصر اللغوي من التركيب يكون ظاهرا في التركيبب لكن معناه الذي يقتضيه يبقى موجودا حتى يستقيم النظم، وقد عرف الجرجاني الحذف بقوله:" هو باب دقيق المسلك لطيف المأخذ عجيب الأمر شبيه بالسحر فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبن."[20]

فالحذف عند الجرجاني يؤدي معاني أقوى من التصريح بالمحذوف وذلك يكون بمراعاة المقام وحال السامع وغرض المتكلم و موضوع الخطاب، لأن ظروف إنتاج الخطاب تمكن السامع من تقدير المحذوف حسب دلالة السياق عليه، لأن الحذف أبلغ في تحديد المعنى من الذكر، ومن أهم المواضع التي بينها الجرجاني في الحذف حذف المفعول به حيث بينه بنماذج من النص القرآني، فهناك حذف المفعول به في الأفعال المتعدية لأن " أغراض الناس تختلف في ذكر الأفعال المتعدية فهم يذكرونها تارة ومرادهم أنن يقتصروا على إثبات المعاني التي اشتقت منها للفاعلين، من غير أن يتعرضوا لذكر المفعولين...وعلى ذلك قوله تعالى: ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﭼ الزمر: ٩ المعنى: هل يستوي من له علم ومن لا علم له؟ من غير

أن يقصد النص على معلوم وكذلك قوله: ﭽ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂﮃ ﮄ ﭼ غافر: ٦٨ وقوله تعالى: ﭽ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﭼ النجم: ٤٣ – ٤٤ وقوله: ﭽ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭼ النجم: ٤٨ المعنى: هو الذي منه الإحياء والإماتة والإغناء والإقناء وهكذا كل موضع كان القصد فيه أن تثبت المعنى في نفسه فعلا للشيء وأن تخبر بأن من شأنه أن يكون منه أو لا يكون إلا منه أو لا يكون منه، فإن الفعل لايعدي لآن تعديته تنقص الغرض وتغير المعنى."[21]

فحذف المفعول في هذه المواضع كان لإثبات الفعل للفاعل أي لا يكون إلا منه، أو أن تنفيه عنه بحيث لا يكون منه لأن ذكر المفعول في هذا الموضع بغير المعنى ولا يؤدي الغرض الذي أنشئ لأجله وهذا ما بينه الجرجاني من خلال النص القرآني حتى لا يحدث لبس في فهم النص القرآني باعتباره دستور منظم لحياة الناس وعباداتهم.

فحذف المفعول به فيه إثبات الفعل لفاعلهوذكر المفعول يحدث التباسا للفعل بمفعوله، وقد بين الجرجاني أهمية حذف المفعول لتوفر العناية على إثبات الفعل لفاعله" فانظر إلى قوله تعالى: ﭽ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﭼ القصص: ٢٣ – ٢٤ ففيها حذف المفعول في أربعة مواضع إذ المعنى" وجد عليه أمة من الناس يسقون أغنامهم أو مواشيهم و " امرأتين تذودان غنمهما" و" قالتا لا نسقي غنمنا" و فسقى لهما غنمهما."[22]

فالحذف في هذه المواضع الغرض منه إثبات الفعل أو نفسه ففي قوله :" أمة يسقون" الغرض منه أن يعلم أنه كان من الناس سقي ومن المرأتين ذود، و" أنهما قالتا: لايكون منا سقي حتى يصدر الرعاء"[23]

فاحذف المفعول يحقق الغرض المروم ولا يصح المعى بذكره، لأن القصد من الحذف هو أمن التباس الفعل بمفعوله ونفيه عنه.

3-3 الفصل والوصل:

عقد الجرجاني بابا في ادلائل الإعجاز في لفصل والوصل بين فيه أهمية الوصل وتركه في عدة مواضع من خلال توضيح الفروق الدلالية بين اعتماد الوصل في نظم الكلام وتركه، فقد جعل العطف بالواو في المفرد أو الجملة للإشراك في الفعل مطلقا، في حين أن اعتماد الفصل بين الجمل يكون للتأكيد.

وقد بين الجرجاني دقة الفصل والوصل في نظم الكلام، فهو لا يتأتى إلا للأعراب الخلَّص، وقد عرفه الجرجاني بقوله:" اعلم أن العلم بما ينبغي أن يصنع في الجمل من عطف بعضها على بعض أو ترك العف فيها والمجيء بها منثورة تستأنف واحدة منها بعد أخرى من أسرار البلاغة... وقد بلغ من قوة الأمر في ذلك أنهم جعلوه حدا للبلاغة، فقد جاء عن بعضهم أنه سئل عنها غفال: معرفة الفصل من الوصل ذاك لغموضه ودقة مسلكه."[24]

وهذا يبين أن الفصل والوصل باب دقيق لا يمكن لأي ناظم تحقيقه، فهو يصنف ضمن المستوى العالي من النظم، وقد صنف الجرجاني الوصل إلى قسمين: العطف في المفرد والعطف في الجملة وبين أهم المواضع التي يحسن فيها الوصل والمواضع التي تقتضي تركه.

فالعطف في المفرد" ان يشرك الثاني في إعراب الأول وأنه إذا أشركه في إعرابه فقد أشركهه في حكم ذلك الإعراب نحو أن المعطوف على المرفوع بأنه فاعل مثله، والمعوف على المنصوب بأنه مفعول به أو فيه أو له شريك له في ذلك."[25]

فالإشراك يكون في الحكم الإعرابي والمعنى المقتضي لذلك لأن العطف بالواو يوجب الجنع المطلق بين المعطوف والمعطوف عليه.

أما العطف في الجمل فقد جعله الجرجاني على ضربين: " أحدهما: أن يكون للمعطوف عليها موضع من الإعراب وإذا كانت كذلك كان حكمها حكم المفرد، بإذ لا يكون للجملة موضع من الإعراب حتى تكون واقعة موقع المفردوإذا كانت الجملة الأولى واقعة موقع المفرد ، كان عطف الثانية عليها جاريا مجرى عطف المفرد على المفرد، فإذا قلت:" مررت برجل خُلُقُه حسن وخَلْقُه قبيح" كنت قد أشركت الثانية في حكم الأولى."[26]

أما الضرب الثاني من عطف الجملة على جملة أخرى ففيه إشكال " وذلك أن تعطف على الجملة العارية الموضع من الإعراب جملة أخرى كقولك:" زيد قائم وعمرو قاعد" و" العلم حسن والجهل قبيح"، لا سبيل لنا إلى أن ندعي أن الواو أشركت الثانية في إعراب قد وجب للأولى بوجه من الوجوه...ثم إن الذي يوجبه التنظر والتأمل أن يقال في ذلك: إنا وإن كنا إذا قلنا:" زيد قائم وعمرو قاعد " فإنا لا نرى هاهنا حكما نزعم أن الواو جاءت للجمع بين الجملتين فيه، فإنا نرى أمرا آخر نحصل معه على معنى الجمع، وذلك أنا لانقول " زيد قائم وعمرو قاعد" حتى يكون عمرو بسبب من زيد وحتى يكونا كالنظيرين والشريكين وبحيث إذا عرف السامع حال الأول عناه أن يعرف حال الثاني."[27]

ومعنى هذا أن العطف بين جملتين متغايرتين في المعنى لا يمكن اعتبار الواو فيه للإشراك، إلا إذا كان المعطوف في الجملة الثانية سببا في في الأول، كما يشترط مراعاة حال السامع حتى يتم المعنى ويُؤمَن اللبس.

وقد بين الجرجاني أن العطف بالواو لايحسن في جميع المواضع، لأن بعض المواضع تقتضي الفصل حتى يستقيم المعنى ويدق النظم معتمدا على نصوص من القرآن حتى يبين دور التركيب اللغوي في إعجاز القرآن الكريم، والفصل يستوجب ترك حرف العطف في الربط بين الأسماء والجمل وذلك" أنه كما كان في الأسماء ما يصله معناه بالاسم قبله فيستغني بصلة معناه له عن واصل يصله ورابط يربطه-وذلك كالصفة التي لاتحتاج في اتصالها بالموصوف إلى شيء يصلها به، وكالتأكيد الذي لا يفتقر كذلك إلى ما يصله بالمؤكد- كذلك يكون في الجمل ما تتصل من ذات نفسها بالتي قبلها، وتستغني بربط معناها لها عن حرف عطف يربطها."[28]

فالاستغناء عن حرف العطف يكون إذا كانت الجملة الثانية مؤكدة للجملة الأولى ومبينة لها، ذلك أن الصفة لا تكون غير الموصوف والتأكيد غير المؤكد، وقد بين هذه الفروق في تحقيق المعنى وإثبات فكرة إعجاز النظم القرآني من خلال " قوله تعالى: چآ ب ب ب ب پپ پپ ڀ چ البقرة: ١ – ٢

قوله: چ ٻ پ پ ڀ چ بيان وتوكيد وتحقيق لقوله: چ ٻ ٻ چ وزيادة تثبيت له وبمنزلة أن نقول: هو ذلك الكتاب، هو ذلك الكتاب فتعيده مرة ثانية لتثبته."[29]

فالفصل في قوله تعالى: چ ٻ پ پ ڀ چ كان تأكيدا لقوله تعالى: چ ٻ ٻ چ فهو كالتوكيد الذي لا يحتاج إلى حرف عطف ليربطها بالمؤكد وقد بين الجرجاني أهمية الفصل في تحقيق المعنى والإعجاز اللغوي في النص القرآني متتبعا مواضع الفصل في النص القرآني والمعاني المستفادة من الفصل،ذلك أن العطف بالواو لايستقيم في كل المواضع فمثلا في قوله تعالى: چ ٱ ب ب ٻ ٻ پ پ ڀ ڀ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ چ البقرة: ٦ – ٧ قوله تعالى:" لايؤمنون" تأكيد لقوله: چ ٻ ٻ پ پ ڀ چ وقوله: چ ڀ ٺ ٺ ٿ ٿ چ تأكيد ثان أبلغ من الأول."[30]

فمعنى التأكيد المستفاد من الفصل في الآيتين كان مضاعفا مما زاد التركيب قوة وبيانا، فكان التأكيد الثاني أبلغ من الأول رغم ترك العطف، وهذا بيان لإعجاز النص القرآني لأن دقة التركيب القرآني وبلاغته لا يتمكن منها حتى أبلغ الناس، فكانت جهود الجرجاني في إثبات مواضع الفصل والوصل وبيان معانيها أكثر حجية في دفع بدع المعتزلة حول إعجاز القرآن الكريم.

وأما ما تعددت أوجه الفصل في كونه تأكيدا وصفة" قوله تعالى: چ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ چ يوسف: ٣١ وذلك أن قوله: چ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ چ مشابك لقوله: چ ڦ ڦ ڦ چ ومداخل في ضمنه من ثلاثة أوجه: وجهان هو فيهما شبيه بالتأكيد ووجه هو فيه شبيه بالصفة.

فأحد وجهي كونه شبيها بالتأكيد هو أنه إذا كان ملكا لم يكن بشرا، وإذا كان كذلك كان إثبات كونه مَلِكاً حقيقيا لا محالة.

والوجه الثاني: إذا قيل: چ ڦ ڦ ڦ چ و" ما هذا آدمي" والحال حال تعظيم وتعجب مما يشاهد في الإنسان من حسن خَلْقٍ أو خُلُق... حتى إنه يكون مفهوم اللفظ وإذا كان مفهوما من اللفظ قبل أن يذكر كان ذكره إذا ذكر تأكيدا لا محالة، لأن حد التأكيد أن تحقق باللفظ معنى قد فهم من لفظ آخر قد سبق منك.

والوجه الثالث: فهو أنه إذا نفي أن يكون بشرا فقد أثبت له جنس سواه إذ من المحال أن يخرج من جنس البشرثم لايدخل في جنس آخر."[31]

فالجرجاني يرى أن اشتراك الوجهين في كون الفصل شبيها بالتأكيد كان إثباتا لكونه ملكا وتأكيدا لنفي صفة البشر عنه في الوجه الأول، أما الوجه الثاني في كونه تأكيدا فقد ربطه الجرجاني بالمعنى المتحقق عن اللفظ وهو معنى الشمول الذي يستفاد من ألفاظ التوكيد، أما معنى الصفة فيتحقق بنفي صفة البشر عنه وإثبات صفة الملك له، ذلك أن الصفة تكون للتبيين والتعيين حتى لا يلتبس الأمر على المخاطب لأن تحديد الصفة لشخص معين يزيل اللبس عن السامع فلا يحتاج من المتكلم تحديد الشخص المتحدَّث عنه.

خاتمة:

بعد عرضنا لمفهوم النظم منذ أن كان فكرة قبل الجرجاني حتى استوى إلى نظرية كاملة لها أسسها ومنهجها على يد الجرجاني، حيث ربط الجرجاني هذه النظرية بالنص القرآني دفاعا عن شبهة خلق القرآن ردا على مختلف الفرق الكلامية التي شككت في دقة النظم القرآني وإعجازه، وقد بين الجرجاني علاقة النظم بفكرة الإعجاز من خلال أبواب نظرية النظم، وقد بينا هذه الرؤية بنماذج من نظرية النظم كالتقديم والتأخير والحذف والفصل والوصل، ذلك أن النص القرآني معجز بلفظه وتركيبه ومعناه وقد بين الجرجاني وجوه الإعجاز في هذه الأبواب لأن التقديم والتأخير لايحسن في جميع المواضع والأمر نفسه للحذف والفصل والوصل، فتقديم الفعل أو الاسم خاصة في مسائل الاستفهام والخبر المثبت يخضع إلى الغرض العام لموضوع الخطاب والسياق الذي ورد فيه لذلك الحذف الذي بين وجوهه بحذف مفعول الفعل المتعدي لأن الحذف أبلغ في تحديد المعنى من الذكر وذلك بإبراز أهم الفروق الدلالية بين الحذف والذكر ودورها في بيان فكرة الإعجاز كما بينا هذه الفكرة عند الجرجاني من خلال الفصل والوصل وأهم المعاني المستفادة من العطف بالواو أو تركها في المواضع التي تقتضي ذلك، لأن معنى الواو يكون للإشراك المطلق بين المعطوف والمعطوف عليه وهذا المعنى لايحسن في جميع المواضع مما جعل الجرجاني يبين أهم وجوه الإعجاز في وجود معنى العطف رغم ترك حرف العطف وهذا يبين لنا عظمة النص القرآني وإعجازه الذي لا يؤتى لبشر بغية رد فكرة التشكيك في إعجاز النص القرآني عبر الزمن

الهوامش:

[1] – ابن منظور جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم، لسان العرب، تح: عبد الله الكبير ، أحمد حسب عبد الله، هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف مصر، دط،دت، مادة عَجَزَ.

[2] – الجرجاني الشريف علي بن محمد بن علي الحسيني، التعريفات، تح: محمود رأفت الجمال، المكتبة التوفيقية القاهرة، ط1، 2013،ص:28.

[3] – الرافعي مصطفى صادق، إعجاز القرآن والبلاغة العربية، دار الكتاب العربي بيروت، دط، 2005، ص:98.

[4] - مسلم مصطفى، مباحث في إعجاز القرآن، دار المسلم للنشر الرياض،2، 1996،ص:14.

[5] - المرجع نفسه، ص:15.

[6] –سيبويه أبو بشر عثمان بن قنبر، الكتاب، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي ،القاهرة، ط3، 1985، 25/1.

[7] – الجاحظ عمرو بن بحر، الحيوان، تح: عبد السلام هارون، ط2، 1965، 9/1.

[8] –الباقلاني أبو بكر محمد بن الطيب، إعجاز القرآن ، تح: أحمد صقر، دار المعارف، مصر، دط، دت، ص: 37.

[9] - الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجازن تح: علي محمد زينو، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت لبنان،ط1، 2005، ص:171.

[10] المصدر نفسه، ص:383.

[11] – المصدر نفسه، ص: 78.

[12] – المصدر نفسه، ص: 287.

[13] – المقصود بالجانب الشكلي الحركة الإعرابية الظاهرة أما المعاني النحوية فتتمثل في الأثر المعنوي الذي يحدثه العامل في المعمول أي ترتيب هذه المعاني في الذهن لتظهر في الجانب المنطوق.

[14] - الجندي درويش، نظرية عبد القاهر في النظم، مكتبة نهضة مصر الفجالة،دط،1960، ص: 122.

[15] - الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص: 94.

[16] - المصدر نفسه، ص: 94.

[17] - المصدر نفسه، ص: 98.

[18] – المصدر نفسه، ص: 99.

[19] - المصدر نفسه، ص: 110-111.

[20] - المصدر نفسه، ص: 120.

[21] – المصدر نفسه، ص: 126.

[22] – المصدر نفسه، ص: 130.

[23] – المصدر نفسه، ص: 130.

[24] – المصدر نفسه، ص: 171.

[25] – المصدر نفسه، ص: 171.

[26] –المصدر نفسه، ص: 172.

[27] –المصدر نفسه،ص: 172.

[28] –المصدر نفسه، ص: 174.

[29] - المصدر نفسه، ص: 174.

[30] - المصدر نفسه، ص: 175.

[31] – المصدر نفسه، ص: 176.